مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: جوانب من التشكيل القصصي في سورة الكهف دراسة أسلوبية
اسم الكاتب: د. فايز مد الله سلمان الذنيبات
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/8820
تاريخ الاسترداد: 2026/11/01 23:55 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جوانب من التشكيل القصصي في سورة الكهف
دراسة أسلوبية

د. فايز مد الله سلمان الذنيبات
كلية الآداب - جامعة جازان
منطقة جازان - المملكة العربية السعودية

تاريخ الاستلام 12-11-2011 **تاريخ القبول 07-02-2012**

ملخص:
تتناول هذه الدراسة جوانب من التشكيل القصصي والأسلوبي في سورة الكهف من جهة نقدية وبلاغية؛ حيث تدرس القصص الواردة في السورة من زاوية جديدة؛ وذلك من خلال منهج لا يخرج في تفاصيله عن مقتضيات التفسير السياقي. فهي تقف عند العناصر القصصية كما تقف عند بعض المعاني البلاغية مثل الانسجام وبراعة الاستهلال والاستيفاء, وبعض الملاحظات الأسلوبية التي حاولتْ تفسيرها تفسيرا دلاليا, والوقوف عند أسبابها بما يتناسب مع مضمون السورة. وقد استعمل الباحث هذا المنهج الممزوج لأنه يخدم القيمة الدلالية التي تحاول الدراسة الكشف عنها. فالفصل الأول من الدراسة يعالج البنية السردية والدلالية لقصص السورة, في حين يعالج الفصل الثاني عنصرا أسلوبيا برز في السورة سمّاه الباحث (الاستيفاء). أما عن نتائج الدراسة وما انتهت إليه, فإن الدراسة –حسب تقدير الباحث - احتوت على عدة نتائج مهمة من أبرزها: إبراز وجه خفي من التلاحم والاتساق بين قصص السورة لم تتناوله الدراسات السابقة بالشكل الذي تناولته هذه الدراسة. واستخلاص عنصرٍ أسلوبي دقيق انتهجته السورة. بالإضافة إلى الكثير من النتائج التي أظنُّ أنها جديدة جاءت مبثوثة في ثنايا الدراسة.

جوانب من التشكيل القصصي في سورة الكهف دراسة أسلوبية (287-305)

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا, والحمد لله الذي جعل لنا هذا الدين حياةً ومنهجا. أحمده حمد متفضَلِ عليه, مملوء من النعمة حتى أخمص قدميه, عاجزا عن شكره ولو اتخذ البحرَ مدادا, ناسبا له الفضلَ والخيرَ في الأمر بدءا ومعادا. والصلاة والسلام على البشير المجتبى, محمد رحمة الله للعالمين وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين. وبعد:

فهذه دراسة أسلوبية في قصص سورة الكهف قائمة على مبدأ الاستقصاء الموضوعي للعنصر القصصي, وفيها طرح جديد لأهم قضايا السورة الموضوعية من جهة أسلوبية تهتم بالبنى الداخلية للمعنى, وتعالج القصص وفق رؤية تحليلية خاصة. وقد انتهجت هذه الدراسة منهجا أسلوبيا سرديا, لا يخرج في تفاصيله عن مقتضيات التفسير السياقي, فهي تقف عند العناصر القصصية, كما تقف عند بعض المعاني البلاغية, مثل الانسجام وبراعة الاستهلال والاستيفاء, وبعض الملاحظات الأسلوبية التي حاولتْ تفسيرها تفسيرا دلاليا, والوقوف عند عللها وبواعثها من جهة نقدية, بما يتناسب ومضمون السورة. وقد ارتأى الباحث هذا المنهج الممزوج لأنه يخدم القيمة الأسلوبية التي يحاول الكشف عنها.

وقد انقسمت الدراسة إلى مبحثين مستقلين, أما المبحث الأول منهما فيعالج البنية السردية والدلالية لقصص السورة, في حين يعالج المبحث الثاني ملحظا أسلوبيا انتهجته السورة ارتأى الباحث أن يسمّيه (الاستيفاء). ومن جهة أخرى راعت الدراسة في نظرتها للقصص التقسيم السردي العام؛ إلا أنه ليس إلزاميا؛ ولا يستند إلى الرؤية السردية فقط, وإنما هو مدخل يفضي إلى استبطان ما تلتقي عنده القصص. فالمنهج هنا محدد بالأسلوبي العام, لا السردي الخاص. وبما أن موضوع الدراسة يختص بالنواحي الأسلوبية والقصصية والنقدية فقد سعى الباحث في الحرص على المحافظة على هذا الخط, وأن لا يدخل في قضايا تفسيرية إلا إذا استدعى السياق ذلك.

أما عن الدراسات السابقة التي تناولت سورة الكهف فهي كثيرة, ولكن كان لكل دراسة اهتمامها الخاص من حيث الطرح, بما يختلف كليا عن طرح هذه الدراسة. لذلك فالدراسات التي اهتمت بهذا الطرح لم أقف عليها في حدود استقرائي. وكان من الدراسات التي اهتمت بسورة الكهف: دراسة طارق مصطفى حميدة, الوحدة الموضوعية في سورة الكهف, ودراسة صلاح سلطان, سورة الكهف ـ منهجيات في الإصلاح والتغيير ـ دراسة تأصيلية تطبيقية. ودراسة أحمد محمد الشرقاوي, تأملات في قصة أصحاب الكهف. ودراسة مروان محمد عبد الرحمن: دراسة أسلوبية في سورة الكهف. وفيها عرض الباحث للمستوى الصوتي. المستوى الصرفي, والمستوى النحوي, والمستوى الدلالي.

ومن الكتب التي تناولت سورة الكهف من جهة تأمّل بنية المعنى ومحاولة استخلاص الدلالة من عمق الألفاظ ـ كتاب (الصراع بين الإيمان والمادية ـ تأملات في سورة الكهف) للشيخ أبي الحسن الندوي. وقد حاول في كتابه أن يجد رابطا قويا يجمع قصص السورة في بؤرة دلالية واحدة. فوجد أن السورة كلها تدور حول موضوع واحد هو: (الصراع بين الإيمان والمادية). فسورة الكهف تمثل الصراع بين النظرتين المادية والمعنوية. ثم يعلّق الشيخ على طبيعة الحضارة الغربية التي جمعت بين القوة الهائلة وبين الكفر والماديـة، وأصبحت حربًا على الغيب والروح والأخلاق والنظم السماوية. ومن جهة أخرى فإن منهج الدراسة يقتضي عدم التركيز على المصادر والمراجع عموما؛

بسبب الطبيعة التحليلية للمادة, وعلى الرغم من هذا كله فقد استعانت الدراسة ببعض المراجع .
ويعتقد الباحث عند سؤاله عن الجديد في الدراسة أن هناك الكثير من النتائج الجديدة التي لم يقف عليها في أي من الدراسات أو التفاسير التي اهتمت بسورة الكهف. أما عن نتائج الدراسة, فإنها أتت على عدة نتائج مهمة من أبرزها: إبراز وجه خفي من التلاحم والاتساق بين قصص السورة. واستخلاص منهج أسلوبي دقيق انتهجته السورة ولم يشر إلى ذلك المنهج أحد.

المبحث الأول: الرؤية الدلالية والسردية في قصص سورة الكهف:

في هذا المبحث ستعالج الدراسة جملةً من القضايا في قصص سورة الكهف, متخذةً من التقسيم السردي مدخلا لها. فهي تتناول الزمان, والمكان, والشخصيات, والاستهلال السردي في قصص السورة, ولكنه تناولٌ يختلف في طبيعته عن المألوف في الدراسات السردية؛ لأن هدفه إظهار جوانب التناسب والتعالق فيما بين القصص الأربع, وبيان القواسم المشتركة والملامح الأسلوبية التي فيها. وكانت هناك محاولات من زوايا متعددة لاكتناه عنصر التناسب بين القصص الأربعة في السورة, بما يختلف عن منهج هذه الدراسة. (انظر مثلا: طارق حميدة, د.ت).

1- الشخصيات في قصص سورة الكهف:

إن ثمة ملاحظتين جديرتين بالاهتمام تبرزان عند تقصي الشخصيات الواردة في السورة, أولاهما: أن جميع الشخصيات الواردة في السورة هي من الذكور دون الإناث, عدا تضمين ذكر الأم في قوله: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ (الكهف: 80) - مع أنه استعمل صيغة التغليب للأب. أما الملاحظة الثانية: فهي الحضور الكثيف لفئة الفتية, أو الغلمان, أو الأولاد؛ على نحو: فتية الكهف, فتى موسى﴿, الغلام المقتول, الغلامين اليتيمين. ويدخل في هذا الجانب الحديث عن الذرية كقوله تعالى: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (الكهف: 39). وقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: 46).

إن الناظر في سورة الكهف وهو يرى هذا التركيز على فئة الأولاد لا بد أن يتساءل عن دلالة ذلك. وقبل الإجابة عن هذا التساؤل نقف عند هدف سورة الكهف والبنية التي ترتكز عليها, فهدفها هو: بيان عصمة الله وحفظه لأوليائه الصالحين من الفتن الكثيرة (انظر: الشرقاوي, 2004) ومنها فتنة الأولاد ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(الأنفال: 28). وعند النظر في محور الأولاد بشكل مستقل تظهر لنا حالات من التمايز من حيث الصلاح والفساد بين الأولاد وذويهم, إذ نجد ثلاث حالات من عصمة أولياء الله الصالحين المتعلقة بالأولاد وذويهم على نحو:

- عصمة الأولاد الصالحين من فتنة ذويهم الفاسدين ومعاشرهم, كفتية الكهف.
- عصمة الآباء الصالحين من فتنة أبنائهم, كوالدي الغلام المقتول.
- عصمة الأولاد من فتنة معاشرهم, بسبب صلاح آبائهم, كالغلامين اليتيمين.

وتفسير كثرة ذكر الأولاد في السورة مرده إلى سببين متعلقين بالاستهلال؛ أولهما: التناسب والانسجام مع قصة فتية الكهف كونهم شخصيات القصة المركزية في السورة, فمن المنطق أن تأتي القصص على ذكر الأولاد واختلاف أشكال العصمة المتعلقة بهم مع ذويهم, تماشيا مع القصة المركزية في السورة. وهذا ما فضّل الباحث أن يطلق عليه اسم (الاستيفاء), ويُعنى بوجوب استيفاء

أوجه المعنى المذكور من باب الحصر والتقسيم, إن احتمل السياق ذلك. وهو في البلاغة قريب مما يسمى (الجمع مع التفريق والتقسيم) في القسم الثاني منه وهو: (استيفاء أقسام الشيء بالذكر) كما في كتاب بغية الإيضاح (الصعيدي,2005). فما دامت بؤرة الحديث عن عصمة الأولاد من شر ذويهم, اقتضى أن يشير إلى أوجه العصمة الأخرى المتعلقة بالآباء والأبناء. يقول ابن عاشور: "فوائد القصص تجتلبها المناسبات، وتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه" (ابن عاشور: 2000م) ونهج استيفاء الحالات المتعددة للشيء المذكور يُعد طابعا أسلوبيا نهجته سورة الكهف, وسيمر معنا الكثير من أشكاله.

أما السبب الثاني فأسميه السبب (التمهيدي), ويتعلق بخيط دلالي يربط سورة الكهف بسورة مريم؛ (انظر رأي الكرماني في المناسبة بين السورتين: الكرماني: 1396هـ) فحين طرحت سورة الكهف الحديث عن فتنة الذرية وأوجهها, مهّدت الطريق للحديث عن نوع من الذرية جاء بطريقة مغايرة, وهو الحديث الخاص بولادة عيسى. فولادته فتنة لبني إسرائيل (فتنة القوم بالفرد) قالوا فيها شططا. كما طرحت لنا جانبا من النسل جاء بمعجزة ربانية؛ وهو ما يتعلق بولادة يحيى, وإسحاق. كما جاءت مركزةً أيضا على جانب اتفاق الذرية مع الأهل في الصلاح والتقوى, على نحو قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا *** وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم: 32,14).

وعن سبب تركيز السورة على الشخصيات الذكورية دون الإناث؛ فهذا عائد إلى أن الفتن الأربع التي طرحتها السورة هي في الرجال أعم وأكثر من النساء. يضاف إلى ذلك أن زينة الحياة الدنيا ارتبطت بالمال والبنين كما نصت سورة الكهف. وثمة سبب بديهي يُحتمل أن يكون تفسيرا لذلك وهو: أنه لم يكن للنساء وظيفة فعّالة تستحق الذكر في هذه القصص بالذات دون تعمدٍ لتغييبهن. ومن جهة أخرى ربما اقتصرت شخصيات القصص في سورة الكهف على الرجال دون النساء من باب التغليب في العربية, فما يجري على الرجل يجري على المرأة. ولعل السبب الذي أطمئن إليه في هذا الجانب متعلق بالسورة التالية, وهي سورة مريم؛ فقد جاء من باب إقامة نوع من العلاقة الدلالية بين السورتين, وقوام هذه العلاقة هو المفارقة؛ فسورة مريم هي الوحيدة في القرآن التي تحمل اسم امرأة, ولذا قدّر الله أن تتجاور مع سورة قائمة على القصص في أكثرها ولكن لم تُذكر فيها امرأة, وهذا من باب المفارقة في العلاقة, وليؤكد أن غياب شخصية المرأة في سورة الكهف ليس تهميشا لوظيفتها.

وفيما يخص طبقات الشخصيات وأصنافها نجد ملاحظةً مهمةً وهي أن طبقات الشخصيات الواردة في قصص سورة الكهف تكاد تستوعب البشرية جمعاء؛ إذا اعتبرنا أن عنصر النساء داخل في التغليب مع الرجال؛ فطبقات الشخصيات هي كالآتي:

- شعوب مسلوبة: وهي الأقوام التي أعانها ذو القرنين
- شعوب ظالمة مستبدة: كيأجوج ومأجوج
- مساكين: كأصحاب السفينة
- أيتام: كالغلامين
- خدم: مثل فتى موسى
- مستضعفون هاربون من البطش: كفتية الكهف

- مجتمع فيه اللؤم: كأهل القرية التي استطعمها موسى□ والعبد الصالح
- مجتمع فيه الصلاح: كالذين عثروا على الفتية بعد اليقظة
- أغنياء: كصاحب الجنتين
- رسل: مثل موسى□ ومؤمنون مثل: والدي الغلام المقتول
- أنبياء أو علماء مثل العبد الصالح □وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا□ (الكهف: 65).
- تلاميذ مثل فتى موسى□ – وموسى□ مع معلمه وهو العبد الصالح.
- ملوك وهم على ثلاثة أقسام: الأول ملك يضطهد الناس دينيا, كالذي اضطهد فتية الكهف, ملك يسلب أموال الناس, كالذي اعترض السفينة, وملك عادل مصلح كذي القرنين.

إن الناظر في هذه الأصناف البشرية ليعجب حق العجب! فهذه الأصناف تكاد تستوعب كل طبقات الناس, وكل تفاوتهم من الناحية الاقتصادية, والاجتماعية, والسياسية, والدينية, بل هي تبدأ بالرجل الواحد وتنتهي بالشعب أو الأمة. إنه نهج الاستيفاء والتقصي والتسلسل الذي تنهجه سورة الكهف. ففي جانب الشخصيات تستقصي لنا جميع التفاوتات التي يتفاوت بها الناس؛ فإما تفاوت سياسي كالذي بين الملك والشعب. وإما تفاوت اقتصادي, كالذي بين الغني والفقير. وإما تفاوت اجتماعي كالذي بين علية القوم ومستضعفيهم. وإما تفاوت علمي كالذي بين العلماء والجهلة أو بين المعلم والتلميذ, وإما تفاوت ديني كالذي بين الرسل أو المؤمنين وبين الكفار, أو بين الصالحين والفاسدين. ومن الطريف أن التفاوت لم يأتِ فقط على مستوى الأفراد فقط؛ بل جاء أيضا على مستوى المجتمعات؛ فهناك أمم مستبدة ظالمة كيأجوج ومأجوج, وهناك أمم مغلوبة مستضعفة, وهناك قرى فيها الصلاح والخير, وهناك قرى تتقاسم الصلاح والفساد كالتي عند مطلع الشمس, وهناك قرى فيها الفساد واللؤم. وهذه أشهر التمايزات بين المجتمعات والشعوب والأمم. لأنه لا يوجد شعب كله خدم, أو مساكين, أو فقراء, أو رجال دين, أو علماء, وإنما يقع ذلك في الأفراد.

إن أمر التقصّي والاستيفاء لا يقف عند هذا الحد, بل يتعدّاه إلى جوانب أخرى كثيرة على مستوى السورة كلها, فشخصيات الملوك فيها تقصّي, وهي ثلاثة أنواع كما تقدم. والطبقات الاجتماعية التي ترفقّت بها الشرائع السماوية أيضا فيها استيفاء؛ مثل: الفقراء والمساكين, والأيتام, والأطفال, والمغلوبين على أمرهم, والوالدين. والشخصيات المتعلقة بالمال أيضا فيها استيفاء: كالمتكبر المغتر بماله, والبخلاء أصحاب القرية, والملك الذي يسلب سفن الناس, فهم: إما منعَم عليه يبلغ درجة البطر والتكبر, كصاحب الجنة. أو منعم عليه يبخل بما عنده؛ كأهل القرية الذين رفضوا ضيافة أبناء السبيل. أو منعم عليه يتقوّى بالنعمة ليسلب أموال الناس. وشخصيات القوم الصالحين في القصص أيضا فيها استيفاء؛ فمن جهة الإيمان هناك فتية الكهف, والمؤمن الذي حاور صاحب الجنتين, ومن جهة الإيمان والعمل هناك شخصية موسى□. ومن جهة الإيمان والعلم والعمل, هناك شخصية العبد الصالح. ولو أعدنا التقصّي ستخرج معنا فئات كثيرة أيضا. ولعل السبب الذي يقف وراء منهج الاستيفاء هو شمولية السورة من جهة, وانسجام قصصها وترابطها من جهة أخرى. ففي هذه القصص من أمور التوحّد الشيء العجيب, فهي بنى قصصية متلاحمة الأجزاء متكاملة الحلقات, وإن كان هذا التكامل لا يظهر على السطح للوهلة الأولى؛ بل يحتاج إلى قدرٍ من التأمل.

والاستيفاء طابع أسلوبي ظهر بجلاء في سورة الكهف مما أعطاها بصمة وطابعا خاصا. بل أكاد

أزعم أن لكل سورة طابعا أسلوبيا خفيا خاصا بها, ويكون له نظام من الشفرة أو الترميز اللغوي مختلف أيضا. ففي سورة الكهف هناك كلمات مفتاحية تشير إلى الإحصاء؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا *** مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (الكهف: 47, 49). والمعنى كما جاء في تفسير القرآن العظيم: "أي وجمعناهم الأولين منهم والآخرين, فلم نترك منهم أحدًا لا صغيرًا ولا كبيرًا" (ابن كثير, 1994)

2 - المكان في قصص الكهف:

للمكان في سورة الكهف علائق لا تخلو من الغرابة؛ إذ يوحي لنا أن القصص في السورة جاءت متسلسلة وفق منظومة تراتبية خاصة, وأن ترتيب القصص ليس عبثيا, بل هو مرتب من رب العزة على أدق ما يكون من الحكمة والانسجام والبلاغة. والحديث فيه يقع في محورين, وذلك على النحو الآتي:

المحور الأول: التراتبية والتسلسل:

ويضم هذا المحور الأمكنة التي شهدت أحداث القصص في السورة, فالناظر في هذه الأمكنة يجدها تشبه حلقاتٍ لولبيةً, تبدأ ضيقةً ثم تأخذ في الاتساع المتسلسل؛ فالمكان الأهم في السورة - الذي حملت السورة اسمه - هو الكهف, ويمثل الحلقة الأصغر, وقد عصم الله فيه عبادا من فتنة الدين. أما الحلقة الثانية فهي: الجنتان وهي حلقة أكثر اتساعا, وقد أعطى الله فيها للمفتون بالمال والذرية درسا عمليا. أما الحلقة الثالثة وهي أكثر اتساعا من السابقتين فتمثل عدة أمكنة - يربطها خيط واحد هو حركة موسى﴿ مع العبد الصالح - وهي: مجمع البحرين, البحر, القرية, وقد أعطى الله فيها لنبيه موسى﴿ درسا عن الغيب وحكمة الله فيه. أما الحلقة الرابعة فتكاد تكون الكرة الأرضية كلها؛ وذلك كما يُفهم من حركة ذي القرنين الذي وقف على مطلع الشمس ومغربها مارا ببلاد ما بين السدين. إذن فالتوالي للأمكنة جاء على النحو الآتي: كهف ثم مزرعة ثم قرية ثم الكرة الأرضية.

إن دوائر المكان وهي تتابع من الصغير إلى الكبير في تراتبية محكمة لهي خير دليل على لحمة القصص الأربع وتسلسلها وترتيبها على هذه الهيئة, إذ لو قمنا بتبديل قصة مكان أخرى, لانهار النظام بأكمله ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (الكهف: 27). فالمكان يبدأ ضيقا ثم يتسع شيئا فشيئا.

ومن هنا كثرت صور الحركة والانطلاق للشخصيات في القصص, فأصحاب الكهف هربوا بدينهم, وسيدنا موسى﴿ - في سبيل العلم - أصر على أن يبلغ العبد الصالح ولو استغرق ذلك حقبا, وذو القرنين طوّاف في الأرض. إذن فتسلسل الأمكنة أوحى لنا بحركة الانطلاق والتوسع. (انظر: صلاح سلطان, 2008)

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن الأمكنة التي ذُكرت في السورة فيها استيفاء للبيئات السكنية التي يتخذها الناس؛ فهم إما في مدينة أو قرية أو كهوف صحراوية, أو في العراء بدون مأوى, كقصة القوم الذين مر عليهم ذو القرنين عند مغرب الشمس﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾(الكهف: 90)[1] .

المحور الثاني: البناءً والهدم:

يلفت الانتباه في هذا المحور توالي حركة البناء والهدم المربوطتين بالماضي أو بالمستقبل, على نحو: بناء مسجد على الكهف, بناء الجدار المنقض فوق الكنز, بناء الردم بين السدين, أما الهدم

فيتمثل في خرق السفينة, والجدار قبل ترميمه, ودك الردم الذي بين السدين حين يأتي وعد الله.
فالردم هو حالة وسطى لتجميد نشاط يأجوج ومأجوج, حيث كانوا منتشرين ويعيثون في الأرض فسادا, ثم قيّض الله لهم هذا الردم الذي جمّد انتشارهم, لكنهم سيعودون للانتشار والفساد مرة أخرى بعد خرق الردم. وكذلك الحال فيما يتعلق بالكنز؛ فالجدار يمثل له حالةً وسطى بين حالتي انتشار للكنز, فيما قبل الجدار وفيما بعده, وسيحدث الانتشار الثاني بعد خرق الجدار أو هدمه, والحال نفسه بالنسبة لخرق السفينة؛ إلا أن الاتجاه معكوس؛ فالخرق هو الحالة الوسطى بين الانتشارين. ومن الجدير بالذكر أن العلامة التي تلقاها موسى لبلوغه العبد الصالح (عودة الحوت إلى الحياة) هي أن يعود الساكن متحركا, فحالة الحوت أيضا هي سكون بين انتشارين[2].
إن ثنائية السكون والانتشار لها علاقة بالكهف أو القصة المركزية في السورة؛ حيث نجد أن رقاد الفتية مثّل حالة سكون بين انتشارين يسيرين, فهذا التوالي لمنظومة السكون الذي يتوسط الانتشارين هو محاكاة لقصة أصحاب الكهف وتناغم معها, بل هو تناسب معها في الحركة والسكون. ومن لطائف الانسجام بين قصة أصحاب الكهف وقصة الكنز المدفون, وقصة يأجوج ومأجوج؛ أن ثلاثتهم تمثل حالة من الاختفاء عن الأنظار, أو الدفن المؤقت تحت الأرض, ثم تعقبها حالة خروج. وتلتقي قصة أصحاب الكهف مع قصة يأجوج ومأجوج في أن فترة السكون بين الانتشارين طويلة جدا, قياسا بفترة الانتشارين. أما وجوه الاختلاف بينهما فكثيرة, وتقوم على عنصر المفارقة, وهي تتلخص فيما يلي: اختلاف من حيث العدد, فبينهما فرق هائل, اختلاف في سبب السكون, فالفتية سكنوا بسبب صلاحهم وفساد غيرهم, أما يأجوج ومأجوج فالعكس, الفتية ذهبوا للسكون طائعين وأولئك أسكنوا قسرا, الفتية تعرضوا لملك ظالم جمّد نشاطهم, وأولئك تعرضوا لملك صالح جمد نشاطهم, الفتية خرجوا خروجا ضعيفا متخفيا بعد السكون, وأولئك سيخرجون خروجا مدمرا. الفتية انتهت فترة سكونهم بين الانتشارين وأولئك مازالت. والغريب أن السورة تبدأ سردها بقصة الفتية على اعتبار أنها انتهت, وتختم بقصة يأجوج لأنها مازالت غير مكتملة, حيث انتهت السورة وتركت النهاية مفتوحة لعدم اكتمال الحدث. وقد بدأت بالقليل عددا, والأضيق مكانا, وختمت بالأكثر عددا, والأوسع مكانا, في تراتب أيضا. ثم إن الخروقات جميعا - عدا خرق الردم المستقبلي - لو لم تتم لنال الأذى أولياءَ الله, وأن خرق الردم حين يتم سينال الأذى البشر جميعا[3].
وقبل أن نختم الحديث عن المكان لا بد من الإشارة إلى بعض الاستيفاءات التي تتعلق به كالماء والشجر؛ فهناك استيفاء لأنواع الماء في السورة يتلخص فيما يلي: الماء العذب كالنهر ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ (الكهف: 33) أو المطر ﴿كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ (الكهف: 45), وهناك الماء الملح كالبحر, وهناك المياه الطينية (الحمئة) ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ (الكهف: 86) (انظر النيسابوري, 2002) وهناك الماء الحار ﴿بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾(الكهف: 29), فهو يستوفي تفاوت الماء في الطعم والحرارة واللون. ومن أنواع الشجر: شجر سامق واقف على جذوعه كالنخل, وشجر لا يقف إلى بواسطة عروش كالعنب ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ (الكهف: 32), وهناك زروع أرضية ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾(الكهف: 32), وهناك نبات الأرض العام كالعشب﴿ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ (الكهف: 45). ومن متعلقات الجنة أو البستان: السياج ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾(الكهف: 32) (انظر الكواري, 2008) , والعروش. والتفصيل يطول

في هذا الجانب. فكلما نظرت للآيات من جهة أعطتك دلالات ثانوية فيها إغناء وتنوّع هائل, علاوةً على ما فيها من دلالة مباشرة, وغير مباشرة, تتماشى مع مضمون السورة وقصصها. فالاستيفاء يقف بنا عند أبعاد الفتن الأربع التي تناولتها القصص.

3 - الزمان في قصص سورة الكهف:

إن للزمن في قصص السورة جدلية عميقة فيها من الاتساق والانسجام الشيء الكثير؛ وقبل الخوض في مظانه أقف وقفة سريعة مع بعض تجليات الزمان في سورة الكهف, وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا * مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا * وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ (الكهف: 50, 52). والناظر للزمان في هذه الآيات يرى أنها أسقطت الحياة الدنيا كليا, إذ ركّزت على البداية وهي خلق آدم, وقفزت مباشرةً إلى النهاية وهي: يوم القيامة في إسقاط متعمد للحياة الدنيا. ولم ينتهِ الأمر عند هذا الحد, فقد جاء هذا الإسقاط المتعمد في تشبيه الحياة الدنيا بالزرع في الآيات التي سبقت آيات خلق آدم كما في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (الكهف: 45). فالبداية إنزال الماء والنهاية الهشيم, وفترة الاخضرار التي تمثّل فترة الدنيا تم إسقاطها عمدا. مع أنه في موضع آخر من القرآن ورد التشبيه نفسه وتم تسليط الضوء على فترة الاخضرار التي ترمز للحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس, 24) (انظر المقارنة بين النصين: محمود توفيق, 1423هـ) أما لماذا أسقطت فترة الاخضرار هنا؟ فالسبب هو تهوين من شأن زينة الدنيا, لأن من محاور السورة الرئيسة محور زينة الدنيا, حيث استحضر مقابلها الزينة الحقيقة وهي نعيم الجنة, قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ (الكهف: 31) فالحديث عن رحلة الدنيا - وتشبيهها بالزرع - يقع في مراحل ثلاث - تتوسطها مرحلة لا قيمة لها من الجهة المنطقية. وهذا التهوين من شأن الدنيا وهذا الإسقاط المتعمد لها من الحسابات جاء لعلة قوية أفسدت الحياة وقللت من أهميتها, وهي صيرورة الزمان. فخضوع الدنيا لمعيار الزمان جعلها في صيرورة حتمية تفقدها أشكال الزينة بسرعة, فهي في حسابات القيمة تساوي صفرا؛ لأن كل ما فيها سرعان ما يتلاشى.

أما الحديث عن زمن الأحداث في القصص الأربعة ففيه جدلية لا تخلو من الغرابة؛ فقصص السورة تقوم على جدلية زمنية في أصلها, وهذه الجدلية مبعثها غيب الماضي والمستقبل, الذي لا يحيط بهما إلا الله, فقصة الكهف جدليتها الأولى زمنية, وتكمن في مدة الرقاد, وفي حالهم قبل الرقدة وبعدها, وما نتج عن ذلك من التقدير الخاطئ للمدة التي لبثوها. أما جدلية صاحب الجنتين مع الزمان فمختلفة؛ فقد ظن للحظة أن هذه النعمة التي بين يديه سرمدية لن تصيبها صيرورة الزمان, قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (الكهف: 35) وقد ادّعى أن

الساعة غير قائمة, ثم افترضها جدلاً, وقام بقياس المستقبل بناء على معطيات الحاضر قياسا خاطئا, قال تعالى: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ (الكهف: 36). فالدليل الذي قاس عليه المستقبل أو (الآخرة) هو إقبال الدنيا عليه بأنواع الزينة. (انظر: ابن كثير, 1994) لذلك جاء التصحيح الرباني لهذا القياس الخاطئ بأن أحيط بثمره, وخسر أهم ركن في زينة الدنيا. فرأى صاحب الجنتين النهاية الأولى التي أنكرها ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (الكهف: 35) مثبتةً له النهاية الثانية التي شك فيها[4].

وبالعودة إلى القصص ككل نجد ملاحظةً مهمةً تخص الزمان وهي: أن القصة الأولى (الكهف) والقصة الأخيرة (يأجوج ومأجوج) تتماثلان في خطوطهما الزمانية وارتباطهما بالماضي. والعجيب أن السورة بدأت بالأولى وختمت بالأخرى. أما القصتان الثانية والثالثة فيجمع بينهما عدة أمور: أنهما مشتركتان في خطهما الزماني المتعلق بالحاضر وغياب قرائنه المتعلقة بالمستقبل. فلا يوجد قرينة عقلية تشير إلى أن خرق السفينة سبب لنجاتها, وكذلك الحال بالنسبة لقتل الغلام وإقامة الجدار. أما صاحب الجنتين فكان لديه قرينة عقلية خاطئة تشير إلى أن مستقبله سيكون يانعا تماما مثل حاضره. وعند النظر للقصص الأربع نجد أن نقطة الارتكاز في كل منها متعلقة بشيء من حالات الزمان, وظروفه الماضية والحاضرة والمستقبلة؛ فقصة أصحاب الكهف تكمن قيمتها الإخبارية في فترة الرقاد التي استمرت ثلاثة قرون, فالمعجزة تكمن في سلامتهم أثناء رقادهم لأزمنة طويلة, ولولاها لبطل العجب. وقصة موسى﴿ والعبد الصالح تقع في نفس المقام, فالاستغراب الذي تحكّم في ردة فعل موسى﴿ - وجعله يخرج عن صبره - يكمن في أن الزمان المستقبلي غير مكشوف له, في حين نجده مكشوفا للعبد الصالح, ولو تحقق لموسى﴿ هذا الكشف لما بادر بالاحتجاج عند كل فعل, إذن فالعلة الموجبة للعجب في القصة هي الزمان المستقبلي. وقصة صاحب الجنتين تأخذ نفس المنحى تقريبا مع اختلاف في موقف صاحب الجنتين وموقف موسى﴿؛ فمشكلته أنه لا يقدّر المستقبل تقديرا سليما, ويتعامل معه من باب الافتراض قياسا على حاضره. وقصة يأجوج ومأجوج تقوم على نفس منحى قصة أصحاب الكهف؛ فالعجب فيها ليس في بناء الردم, لأنه قابل للتكرار, ولكن العجب فيها هو طول بقائهم داخل الردم, وتأخيرهم إلى موعد محدد زمنيا. إذن العلة زمنية.

ومن هنا تتوزع القصص الأربع على ظرفين زمنيين: فالقصة الأولى والأخيرة لهما جدلية المكوث الطويل والسلامة في هذا المكوث, والاختفاء عن الأنظار, وهما متعلقتان بالزمان الماضي. والقصة الثانية والثالثة لهما جدلية احتجاب الزمان المستقبلي عن الإدراك, وتفسير الوقائع بناء على قرائن من الزمان الحاضر. وهما متعلقتان بزمن المستقبل. وفي هذا استيفاء؛ فأحداث القصص تستوفي الحالات الزمانية كلها, وتستند كل قصة على ظرف زمني منها.

أما تفسير لماذا شاء الله هذا الترتيب للقصص بحيث تقوم على علل الزمان؟ فإن الجواب – كما يظهر للباحث - هو من باب المشاكلة للقصة المركزية في السورة وهي قصة أصحاب الكهف؛ لأن القضية في هذه القصة قضية زمنية ورقمية بالتحديد. ومن هنا كثرت المفردات التي تنتمي لهذا الحقل: إذ نجد أرقاما على هيئة احتمالات كعدد الفتية, وعدد سنوات المكوث. والزمان الماضي والمستقبل هو من علم الغيب الذي يعجز عنه البشر.

4 - الاستهلال السردي للقصص:

راعت القصص الأربع في افتتاحياتها نوعا من التمهيد أو ما يُسمى في علم البلاغة (براعة الاستهلال), فهي لا تقحمنا في المضمون مباشرةً, وإنما تحضّرنا له نفسيا؛ عبر تمهيدات عامة, فيها تلميحات تتسق مع أحداث القصص ومضمونها. ومن هنا سنقف عند استهلال السورة أولا, ثم نمرّ على استهلال كل قصة على حدة.

فسورة الكهف استهلت حديثها بانسجام راقٍ مع استهلال سورة الإسراء وختامها؛ وهو انسجام التسبيح والتحميد كما أشار إلى ذلك بعض العلماء. قال السيوطي: "مناسبة وضعها بعد سورة الإسراء: افتتاح تلك بالتسبيح وهذه بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد، نحو ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ (طه: 130, والنصر: 3) قلت: مع اختتام ما قبلها بالتحميد أيضًا، وذلك من وجوه المناسبة" (السيوطي, د.ت) و(الرازي,2000م). وتوافق خاتمة الإسراء مع استهلال الكهف هو من قبيل ما سُمي في البلاغة (تشابه الأطراف) (انظر: الصعيدي, 2005). مع لفت الانتباه إلى الإخبار عن النبي بصيغة (عبده) في مستهل السورتين, ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ (الإسراء: 1) و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (الكهف: 1) وهذا أيضا من قبيل المناسبة.

وتأتي البراعة الأولى في هذا الاستهلال في بشرى المؤمنين بالفوز الدنيوي والأخروي ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الكهف: 2)؛ فكل الفئات الضعيفة المؤمنة في السورة أحاطت بها حماية الله. وهذا استباق أولي ينسجم مع رعاية الله لشخصيات القصص الأربع من المؤمنين. أما البراعة الأخرى في الاستهلال فهي الإشارة إلى النصارى في قوله: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدا﴾ (الكهف: 4) فهي تلميح إلى ديانة أهل الكهف[5]؛ فهم على ديانة التوحيد التي جاء بها عيسى﴿. وتأتي كلمة (ولدا) تلميحا آخر واستباقا بالإشارة إلى الحضور الكثيف لفئة الأولاد في السورة, وخصوصا أصحاب الكهف فهم فتية, وهم نصارى أيضا. وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف: 7), فهو براعة استهلال وانسجام تشير إلى متعلقات بهذا الوصف من داخل السورة, وهي متعلقات الزينة من المال والولد, وقد وردت في القصص الأربع. هكذا جاء الاستهلال عاما يحوم حول قصص السورة من بعيد, إذ تأتي آياته بمستويات مختلفة من الدلالة المباشرة والدلالة التلميحية.

ومن لطائف التعبير القرآني أنه قدّم لقصة موسى﴿ والعبد الصالح تمهيدا ورد فيه ذكر الاستعجال وعدم المؤاخذة, قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ (الكهف: 85). وفي هذه الآيات من التناسب الشيء الكثير؛ ففيها استباق لبيان أمر استعجال موسى﴿ في الآيات اللاحقة, وفيها استباق آخر لبيان موقف موسى﴿ ومطالبته للعبد الصالح بعدم المؤاخذة كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿ (الكهف: 73). ولعل ما تقدّم من توافقات كان بمثابة التناسب العجيب بين آيات السورة وقصصها وأحوالها. أما بشأن المستهل السردي لكل قصة على حدة, فهو أمر كفله السياق؛ فكان لكل قصة مستدعيات سياقية واستهلال خاص بها.

فقصة أصحاب الكهف دخل استهلالها السردي مع الاستهلال العام للسورة, من حيث التلميح للديانة النصرانية, وللفئة العمرية (ولد) والبشرى للمؤمنين. وفي البداية تأخذ الآيات تستعرض القصة

بشكل إجمالي؛ إذ تعرض لنا الحالات الثلاث التي مر بها الفتية وهي: قبل الرقاد, أثناء الرقاد, بعد الرقاد, كما في قوله: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ *** فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ *** ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ (الكهف: 10, 11, 12) إن هذه الأحداث الثلاثة هي ملخص الحكاية العام الذي تلتقي عنده أغلب روايات الآخرين للقصة. ثم تأتي التفاصيل الحقيقية للقصة كما يقصها القرآن.

وقد ظهر في هذه القصة عنصر أسلوبي يُسمى (الاسترجاع) ويعني العودة إلى نقطة سابقة في السرد؛ ويُستعمل لإيضاح حدث سابق اقتضت طبيعة القصة المرور عليه أو لإضافة تفاصيل دقيقة, (انظر: حميد لحمداني, 1990) ومغزى وقوع هذا النوع هو: إظهار التمايز بين الرواية القرآنية للأحداث, والروايات الأخرى التي ذهبت مذاهب شططا. فالأسلوب القرآني أعطى ملخصا سريعا للحكاية, ثم أتى بالتفاصيل الدقيقة بعدها حيث عاد إلى نقطة البداية.

أما قصة صاحب الجنتين فيستدعيها السياق عبرةً للذين عبدوا الدنيا, وكان همهم التكاثر والتفاخر. كما أن السياق العام يستدعيها من خلال إبراز جانب المال والذرية, وهما عنصرا زينة الدنيا, كما يستدعيها السياق تمثيلا على خطورة الكلمة ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ (الكهف: 5) فصاحب الجنتين أباد جنتيه بكلمة قالها. كما يستدعيها في الحديث عن المشيئة واستحضارها (ما شاء الله), لأن الخطاب قد تقدمهما كان موجها للرسول﴿ قال تعالى: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) (الكهف: 23 - 24) جاء في الكشاف تفسير هذه الآية: " وهذا نهي تأديب من الله لنبيه... وَاذْكُر رَّبَّكَ, أي: مشيئة ربك وقل: إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك" (الزمخشري, 1998) كما يستدعيها الحديث عن البنين. وفي المقابل استحضر سيدنا موسى﴿ المشيئة في الصبر – مع أنه لم يصبر - قال تعالى: (قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) (الكهف: 69).

أما تمهيد هذه القصة فجاء على النحو الآتي: تحذير النبي﴿ من الانصراف عن الزمرة المؤمنة الفقيرة, ومحاولة التطلع وإعطاء الاهتمام لعلية القوم من الكفرة. وهو نهي مبعثه تعلّق الكفرة بزينة الدنيا, وتعلّق المؤمنين بالله. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾(الكهف: 28). وقد استدعى هذا السياق ذكر الجنة والنار, لأن زينة الدنيا فانية ولا قيمة لها, وإنما النعيم الحقيقي الدائم هو نعيم الجنة. وقد جاءت صيغة المستهل السردي بقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ (الكهف: 32) أي لأولئك المغترين بالمال والولد. وجميع الاستدعاءات المتقدمة كانت كفيلة بتهيئة السياق لتلقي تلك القصة وكأنها حلقة ضرورية ليكتمل جانب العرض النظري وجانب التمثيل.

أما عن استهلال قصة موسى﴿ والعبد الصالح, فقد سبقها تمهيد عام فيه تلميح لأمرين متعلقين في السورة: هما: الاستعجال, وذكر المؤاخذة, قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ﴾(الكهف: 58), كما سبقها ذكر القرى الظالمة, وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (الكهف: 59). في استباق وقع موقع التناسب الجميل, في التلميح لإهلاك القرى الظالمة, وكأنه يقول: سيمرّ معكم في القصة التالية حديث عن قرية ظالمة, حالها كحال تلك القرى التي أهلكناها بسبب ظلم أهلها, في إشارة إلى القرية التي استطعم موسى﴿ والعبد الصالح أهلها.

أما فيما يخص استهلال قصة ذي القرنين فإنه اقتصر على قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف: 83) في إثبات لسبب النزول – كما تقول الروايات -[6] وقد عدّت الآياتُ قصةَ موسى﴾ تمهيدا لقصة ذي القرنين من حيث التناسب في الحركة والانطلاق؛ فكلا القصتين لهما أمكنة متعددة, وفيها حيوية وانطلاق, وفيها شخصيات مؤمنة قوية. وهذه النقطة تنبّه لها العلماء, فقد جاء في تفسير التحرير والتنوير: "قدّم لقصة ذي القرنين قصةً أهم منها وهي: قصة موسى﴾ والعبد الصالح عليهما السلام، لأن كلتا القصتين تشابهتا في السفر لغرض شريف. فذو القرنين خرج لبسط سلطانه على الأرض، وموسى﴾ عليه السلام خرج في طلب العلم" (ابن عاشور, 2000م). ومن هنا كانت قصة موسى﴾ والعبد الصالح خير تمهيد لقصة ذي القرنين. لما وقع بينهما من تناسب كبير.

المبحث الثاني - الاستيفاء منهجًا في سورة الكهف:

تقدم الحديث في تعريف الاستيفاء مع ذكر نماذج كثيرة له. وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح الاستيفاء قد ورد عند الرافعي في كتابه إعجاز القرآن, وفي الفصل الذي يتحدث فيه عن البلاغة النبوية من حيث مميزاتها الأسلوبية, فكان من هذه المميزات ما سمّاه الاستيفاء, وعرّفه بقوله: "هو الذي يخرج به الكلام - على حذف فضوله وأحكامه ووجازته - مبسوط المعنى بأجزائه, ليس فيها خداج, ولا إحالة, ولا اضطراب, حتى كان تلك الألفاظ القليلة إنما رُكّبت تركيبا على وجه تقتضيه طبيعة المعنى في نفسه، وطبيعته في النفس؛ فمتى وعاها السامع واستوعبها القارئ، تمثّل المعنى وأتمّه في نفسه، في حسب ذلك التركيب، فوقع إليه تاما مبسوط الأجزاء، وأصاب هو من الكلام معنى جموما"(الرافعي, 2005م) ولا شك أن المفهوم بعيد عن مفهومنا للاستيفاء.

وفي هذا المبحث ستكمل الدراسة بعض حلقات الاستيفاء على سبيل الانتخاب لا الحصر. وقبل الولوج إلى الموضوع سأعود إلى نقطة سابقة ذكرها العلماء تخص الفتن الأربع: فتنة الدين, وفتنة المال والولد, وفتنة العلم, وفتنة السلطان. وقد استوفت السورة هذه الفتن الأربع من كل زواياها. فقد تقدّم الحديث عن الاستيفاء الخاص بالذرية, وفي أنواع الشخصيات ومستوياتها, كما تقدم الحديث عن الاستيفاء الخاص بالسلطة أو الحكم في مبحث الشخصيات؛ لأن معالجاتهما هناك أهم. وهذا المبحث تتمة لما تقدم مع بسط أوفى للموضوع, حيث ستعالج الدراسة استيفاء المال, والعلم, والدين. وهناك بعض الاستيفاءات تجاوزتها الدراسة؛ بسبب ابتعادها قليلا عن محور الموضوع (الفتن الأربع), مثل استيفاء الطعام, وقد ورد في ثلاثة مواطن: هي: طعام الفتية حين أفاقوا من الرقاد وبعثوا أحدهم ليشتري طعاما, وقصة موسى﴾ حين قال لفتاه: آتنا غداءنا, واستطعام موسى﴾ والعبد الصالح لأهل القرية, وفي هذه المواطن تحديد لوسائل الحصول على الطعام؛ فهو إما بالشراء, أو بكسب اليد كصيد السمك, أو بالاستضافة. وهناك استيفاء في ذكر أعضاء جسم الإنسان؛ فعلى سبيل المثال: (اليد) وردت مرةً وهي تشير إلى العضو كله في قوله: ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (الكهف: 57) كما ورد تفصيل أجزاء اليد: الكف والذراع والعضد؛ كما في قوله: ﴿أَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ (الكهف: 42) و﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ (الكهف: 18) ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (الكهف: 51), والحديث يطول في هذا.

1 - استيفاء المال:

عرضت السورة لثنائية المال والبنين في منتصفها على سبيل الوعظ وعدم الاغترار بزينة الدنيا, قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: 46) وقد جاءت هذه الآية بعد قصة فتية الكهف, وقصة صاحب الجنتين المغتر بماله وولده, وقصة المؤمن الذي قلّ ماله وولده. وفي السورة تقدم ذكر المال ثلاث مرات على البنين؛ وكان تقديم الحديث عن المال استباقا هو الآخر؛ وكأنه يقول لنا سيأتي حديث مهم عن المال في السورة. ونحن إذ ننظر في القصص الأربع نجد أن المال حاضر فيها جميعا؛ فقصة أصحاب الكهف أتت على ذكر المال في قوله تعالى: ﴿فابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ (الكهف: 19). وقصة صاحب الجنتين فيها حضور كثيف لموضوع المال؛ لأنها جاءت مثلا مضروبا عن الاغترار بالمال والولد, وقد أضاءت جانب المال بشكل أوضح, كما في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا *** إن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (الكهف: 34, 39). وقصة موسى﴿ والعبد الصالح فيها جانبان من المال: الأول قول موسى﴿ احتجاجا على بناء الجدار: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الكهف: 77), الثاني: كنز الغلامين, وقد ذُكر لفظا مرتين. كما أن قصة ذي القرنين فيها ذكر للمال؛ حيث عرض القوم بين السدين على ذي القرنين أن يجعلوا له (خرجا)[7] لقاء بناء سدّ لهم, قال تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (الكهف: 94). وكذا ورد في وصف زينة الجنة ذكر أساور من ذهب.

إن أشكال المال ومصادره تكاد تستوفيها السورة؛ فهي كالآتي: العقار المملوك كالجنتين, المال النقدي : مثل الوَرِق أو نقود الفضة, أو الذهب والجواهر كما جاء في وصف زينة الجنة: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ (الكهف: 31), الخراج أو الضريبة السنوية من غلة الأرض, الأجر على القيام بعمل محدد, الممتلكات الثمينة أو الحلي والذهب مثل الكنز.

وتظهر لنا السورة موقفين من المال المقبوض عبر الأجور, والموقفان جاءا من عبدين صالحين؛ حيث رفضا أخذ الأجر على عمل الخير, فقد بنى العبد الصالح الجدار, وبنى ذو القرنين الردم, وقد رغبا في الأجر الأخروي, وزهدا في مال الدنيا. والغريب أن العملين الذين قاما بهما هما البناء. وكأن السورة تقول لنا: إن الصالحين يصلحون في الأرض ويزهدون في زينتها.

أما دلالة هذا التعدد لأصناف المال وكثرة ذكر المال بشكل عام, فلعله يرجع إلى شمولية السورة وتعدد خطوط الدلالة فيها؛ ومنها: التحذير من فتنة المال؛ لأن المال قد يؤدي إلى الطغيان, قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ (العلق: 6, 7). وقد استوفت السورة مصادر المال وأنواعه تماشيا مع منهج الاستيفاء الذي تنتهجه وعلى وجه الخصوص مع الفتن الأربع. والمعنى العام لاستيفاء المال هو الرغبة عن زينة الدنيا وعدم المبالغة فيها.

2 - استيفاء العلم:

وفي هذا المجال نجد السورة تقدم لنا مصادر العلم التي عند البشر, فهي: إما علم لدنّي ربّاني؛ وهذا النوع من العلم خاص بأولياء الله الذين أعطاهم من علمه, أو علم متوارث عن السابقين, أو علم مكتسب بالتجربة والخبرة. أما النوع الأول فدلتنا عليه الآية في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾(الكهف: 65). فهذا العلم الذي تلقاه العبد

الصالح من الله. أما النوع الثاني والثالث فقد جاءا في قوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ (الكهف: 5). فهذه الآية أعطتنا العلم الشخصي, وعلم الآباء أو العلم المتوارث. كماً أن السورة لم تكتفِ بتفصيل مصادر العلم, بل أعطتنا تفصيل أنواع المتعلمين وتسلسل مستوياتهم. عالم بعلم لدني, وعلم متوارث, وعلم شخصي. وعالم بعلم شخصي ومتوارث فقط, ويطلب العلم الثالث. وعالم بعلم شخصي (متواضع) ويطلب العلمين السابقين. فالأول ينطبق على العبد الصالح. والثاني ينطبق على موسى﴾. والثالث ينطبق على فتى موسى.

3 - استيفاء الشرك بالله:

لقد استوفت سورة الكهف أهم أصناف الشرك بالله في سياقات متعددة منها, ويمكن لنا تجميعها على النحو الآتي: شرك ادّعاء الولد لله؛ وقد استهلت به السورة حديثها في قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (الكهف: 4), وهذا الشرك اختص به أهل الكتاب. أما النوع الثاني فهو شرك الأصنام التي نُصّبت آلهةً, وقد جاء في قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾(الكهف: 15), وهذا النوع اختصت به المجتمعات الوثنية مثل كفار قريش. أما النوع الثالث فهو شرك الولاية مع الله, أو هو الاعتقاد أن لله أولياءَ لهم حريةِ التصرف في قدر الله, كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء﴾ (الكهف: 102). والناظر في هذه الأصناف الثلاثة يجد أن ادّعاء الولد والوثنية تجسدان الواقع زمن الرسالة, أما شرك الولاية فلعل العرب لم يعرفوه وقتها. ولإضاءة هذا الجانب قدم لنا القرآن شخصية العبد الصالح الذي أعطاه الله من حكمة الغيب, وكان علم الغيب عنده كرامةً من الله في حالة مخصوصة, وليس ولايةً. لذلك ترددٍ في القرآن في أكثر من عشرين موطنا قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: 26).

ولعل المعنى الذي استدعى السياق ليقف عند شرك الولاية هو قصة أصحاب الكهف؛ فبعد أن أعثر الله عليهم, تنازع قومهم في أمرهم, حتى غلب رأي من أرادوا بناء مسجد على قبورهم. وفي هذا إشارة إلى غلبة أهل البدع والشرك على أتباع عيسى في الزمان القديم (انظر: ابن كثير, 1994). فبناء المسجد على الكهف فيه معنى إشراك الموتى في العبادة مع الله كأولياء له. كما دلت الآية أن طائفةً منهم كانوا يرفضون بناء مسجد بل أرادوا بناءً عاديا لا دار عبادة, ولكن رجح رأي أهل البدع (انظر: الشنقيطي, 1995). ومن هنا جاءت الآيات عامةً مطلقةً في شتى أنواع الموالاة التي يدخلها العباد مع الله. ومجيئها في أواخرِ الكهف تحذير من انتهاج هذا الصنف من الشرك. لذا ورد في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ (الكهف: 44). وقد تعددت أقوال المفسرين فيها (انظر: الشنقيطي, 1995), إلا أنها تظل متقاربة: فهي قريبة من قولنا: سيدرك المشركون مع الله الموالون للعباد من دونه - في يوم القيامة - أنهم ضلوا في اعتقادهم وأن الولاية الحقة لله (النيسابوري, 2002).

ومن هنا نجد أن فتنة الدين تعرّض لها أصحاب الكهف في كل مستوياتها: فهم موحّدون على ديانة عيسى, وقد هربوا خوفا من إعادتهم إلى الوثنية والشرك, وحين استفاقوا كان القوم قد آمنوا ودخل الشرك في إيمانهم, ثم اتخذهم الناس أولياء وبنوا فوق قبورهم مسجدا. إذن فقد عاشوا على التوحيد وماتوا عليه, في حين تقلب أهل مدينتهم في مراحل عدة؛ من وثنية إلى ادعاء الولد إلى الولاية مع

الله.

خاتمة:

لقد تقفّت هذه الدراسة أثر الملاحظات الأسلوبية العامة وحاولت الإجابة عنها, كما حاولت تفنيد سر ترابط القصص في السورة من جهة موضوعية وأسلوبية. إذ برزت روابط عديدة تشد قصص السورة إلى بعضها, كما ظهر نهج الاستيفاء وهو من الروابط الأسلوبية المهمة التي جعلت من قصص السورة لوحةً غنيةً بعناصر التماثل والتناسب لدرجة كبيرة. وقد رأينا أن القصص الأربع لم تكتفِ برابط الفتن فقط ليربط بينها, بل هناك أواصر عديدة لا تكاد تنتهي. فما يجمع بين القصص الأربع:

1- أنها لم تتكرر في القرآن مطلقا, كحال بعض القصص.
2- أن جميع القصص تطرقت للمال.
3- جميعها لم يذكر فيها امرأة.
4- جميعها ركزت على نصر الله ورعايته للفئات المستضعفة.
5- جميعها وقفت بين خطين زمنيين؛ إما ماضي متعلق بالمستقبل, أو حاضر متعلق بالمستقبل.
6- كذلك التزمت بالتركيز على الذرية من الذكور.
7- وركزت على فكرة السكون الذي يتوسط انتشارين أو حركتين.
8- وأظهرت جميعها التفاوت الاقتصادي والاجتماعي والديني والعلمي في انسجام كبير.
9- وأظهرت لنا أنواع الاستبداد المعروفة: من ديني وسياسي ومالي.
10- والتزمت جميعها بالتسلسل التراتبي للأمكنة.

وهناك جوامع أخرى كثيرة أظهرتها الدراسة. وهناك روابط خاصة بين كل قصتين من القصص؛ كتلك التي بين قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين, وقد عرضنا لها. أو التي بين قصة صاحب الجنتين وقصة موسى□ والعبد الصالح من علاقة الحاضر بالمستقبل, والقياس الخاطئ. فما يجمع بين القصتين الأوليين: هو محدودية المكان – نقص الحركة - استجابة دعاء المستضعفين فيهما, كما أن أهل الخير فيها ضعفاء. وما يجع بين القصتين الأخريين: الانطلاق والحركة, الحكمة والعلم تعدد الأمكنة تعدد المجتمعات البناء, الدفن, أهل الخير فيها أقوياء, ترك الأجر, السفر الطويل. وما يجمع بين أهل الخير في القصص الأربع الثقة بالله والتوكل عليه. وما يجمع بين أهل الشر في القصص الأربع: الشرك بالله, والتعلق بزينة الدنيا, وظلم النفس وظلم الناس وسلب أموال الناس وحياتهم. على أن هناك الكثير من النتائج مبثوثة في ثنايا الأسطر, وقد اكتفينا منها بالإجمال لا التفصيل.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- ابن عاشور, محمد التونسي, (2000م) التحرير والتنوير, ط1، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي.
- ابن كثير, القرشي الدمشقي, (1994) تفسير القرآن العظيم, تحقيق: محمود حسن, الطبعة الجديدة دار الفكر.

- ابن منظور, الأفريقي المصري (د.ت), لسان العرب, ط1, بيروت, دار صادر.
- الأزهري, أبو منصور محمد بن أحمد, (2001م) تهذيب اللغة, ط1, تحقيق: محمد عوض مرعب, بيروت, دار إحياء التراث العربي.
- حميد لحمداني, (1990) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي, ط3، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- الدمشقي, أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي, (1998م) اللباب في علوم الكتاب, ط1, تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض, بيروت دار الكتب العلمية.
- الرازي, فخر الدين محمد بن عمر التميمي, (2000م) مفاتيح الغيب, ط1, بيروت, دار الكتب العلمية.
- الزَّبيدي, أبو الفيض (د.ت), تاج العروس من جواهر القاموس، (د.ط) تحقيق: مجموعة من المحققين, دار الهداية.
- الزمخشري, (1998), الكشاف, ط1, تحقيق: عبد الرزاق المهدي, ضبط: محمد عبدالسلام شاهين, بيروت, دار الكتب العلمية.
- السيوطي, عبد الرحمن بن الكمال (د.ت), أسرار ترتيب القرآن, (د.ط) تحقيق: عبد القادر أحمد عطا, القاهرة, دار الاعتصام.
- السيوطي, عبد الرحمن بن الكمال, (1993م) الدر المنثور, (د.ط) بيروت، دار الفكر.
- الشنقيطي, محمد الأمين, (1995) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن, (د.ط) بيروت, دار الفكر.
- الصعيدي, عبد المتعال, (2005م) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح, ط17, مكتبة الآداب.
- صلاح سلطان, (2008م) سورة الكهف - منهجيات في الإصلاح والتغيير - دراسة تأصيلية تطبيقية, ط1, الولايات المتحدة الأمريكية, دار سلطان للنشر.
- طارق مصطفى حميدة, (د.ت) الوحدة الموضوعية في سورة الكهف, فلسطين, مركز نون للدراسات.
- الفراهيدي, الخليل بن أحمد, (د.ت) كتاب العين, (د.ط) تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال.
- القزويني, جلال الدين، (1998) الإيضاح في علوم البلاغة, ط4, بيروت, دار إحياء العلوم.
- الكرماني, محمود بن حمزة بن نصر, (1396هـ) أسرار التكرار في القرآن, ط2, تحقيق: عبد القادر أحمد عطا, القاهرة, دار الاعتصام.
- الكواري, كاملة بنت محمد بن جاسم, (8 200) تفسير غريب القرآن, ط1, دار بن حزم.
- محمود توفيق محمد سعد, (1432هـ) مراجعة في مفهوم علم البيان وموضوعه وتطور القولِ فيه, مجلة كلية اللغة العربية, جامعة الأزهر الشريف, المنوفية, العدد 21.
- الندوي أبو الحسن, (2009) الصراع بين الإيمان والمادية - تأملات في سورة الكهف, ط1, القاهرة, مكتبة السنة.
- النيسابوري, أحمد بن محمد الثعلبي, (2002م) الكشف والبيان, ط1, تحقيق: أبي محمد بن عاشور,

بيروت, دار إحياء التراث العربي.

هوامش:

1. تجدر الإشارة إلى أن كثيرا من التفاسير ذهبت أنهم بلا مأوى عن الشمس لأن أرضهم لا تمسك البناء ولا تحتمله. انظر في هذا المجال: ابن عادل, اللباب في علوم الكتاب, 1998.
2. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن فتى موسى اسمه (يوشع بن نون) كما دلت على هذا أكثر التفاسير, والنون معناه الحوت, وهذا الفتى له علاقة بالحوت من جهتين, ولعل هذا من باب التناسب والمشاكلة. انظر في شأن اسم الفتى: السيوطي, الدر المنثور, 1993, ج5 ص409, وانظر في معنى كلمة (نون) الأزهري, تهذيب اللغة, 2001م
3. ومما تجدر الإشارة له في هذا المدخل أن الفرق بين السد والردم هو: أن السد يسد الحركة من جهة واحدة, أما الردم فهو أشمل؛ حيث يحكم الغلق نحو ردمت الثوب أي رقعته, وردمت الباب أي أغلقته بما يخفيه ويغيّب معالمه, ومن هنا كان الردم إخفاءً كاملا لعالم يأجوج ومأجوج. انظر: الخليل, (د.ت).
4. مما تجدر الإشارة إليه أن معنى كلمة (تبيد) في اللغة: أي تهلك أو تزول, وهو من الإبادة. جاء في لسان العرب: لا نَبيدُ أَي لا نَهْلِكُ ولا نموت. والبَيْداءُ: الفلاة. سميت بذلك لأَنها تُبيدُ من يَحِلُّها. وسموا الصحراء بَيْداءَ لأَنها تُبيد سالكها والإِبادَةُ: الإِهلاك والجمع بيدٌ. واستعمال الفعل تبيد مع الجنة أو المزرعة فيه دقة عالية, فإبادتها هي في تصحّرها أو تحوّلها إلى بيداء مقفرة. وثمة فعلان أيضا يحملان دقةً عاليةً في الآيات, الأول (تظلم) ولم تظلم منه شيئا بدلا من تنقص, وذلك لتذكيره بأنه هو ظلم نفسه, (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه). والفعل الآخر (أحيط بثمره) بدلا من (أتلف), وذلك من باب المناسبة والدقة فالجنة محاطة بالنخيل لحمايتها (حففناهما) وجاء الفعل ليناسب الصورة. ابن منظور (د.ت).
5. ذهب أغلب المفسرين إلى أنهم كانوا على ديانة عيسى, انظر على سبيل المثال: (ابن عاشور, 2000م).
6. تناقلت أكثر التفاسير رواية ابن إسحاق عن سبب النزول, ينظر في هذا المجال: (ابن عاشور,2000م)
7. والخَرْج في اللغة: "الإتَاوَةُ تُؤْخذُ مِن أَموالِ النّاسِ كالخَرَاج، وهما واحدٌ لِشَيءٍ يُخْرِجُه القَوْمُ في السَّنَةِ من مالِهم بقَدْرِ مَعلوم. والخَرْج أيضا الضَّرِيبَةُ والجِزيَة، وجُمْلَةَ مَعْنَى الخَراجِ الغَلَّة، وقيل لِلْجِزْيَةِ". الزَّبيدي, (د.تً).
8.

Aspects of Narrative Figuration Srurat Alkahef : A Stylistic Study

Dr. fayeez maddallah salman althunibat
Faculty of Arts - University of Jazan
Jazan - Kingdom of Saudi Arabia

Abstract:

This study deals with aspects of the narrative and stylistic formation in Surat Al-Kahf from critical and rhetorical perspective. It examines the stories contained in the sura from a new perspective in light of contextual interpretation. The study highlights the basic story elements such as harmony, creativity in introducing topics, and some stylistic features that were explained semantically. This approach was employed because it serves the semantic values that the study aims at investigating. The first chapter of the study examines the narrative and semantic structures of the stories in the surah. The findings of the study revealed a high degree of coordination and harmony among the stories in the Surah.